

المبحث الثالث :

الإسلام المعتدل ، ونقده

المبحث الثالث

الإسلام المعتدل، ونقده

المطلب الأول : تعريف (الإسلام المعتدل Moderate Islam) :

١-المعتدل في اللغة العربية: المستقيم^(١).

«والاعتدال: تَوَسُّطُ حَالٍ بَيْنَ حَالَيْنِ فِي كَمٍّ أَوْ كَيْفٍ»^(٢).

«وفرس معتدل الغرة: إذا توسطت غرته جبهته، فلم تصب واحدة من العينين، ولم تمل على واحد من الخدين»^(٣).

والاعتدال والوسطية «معنيان مترادفان في المفهوم اللغوي، والشرعي الاصطلاحي»^(٤)، والمفهوم اللغوي الإنجليزي كذلك^(٥).

٢-المعتدل في الشرع: العدل الخيار، المتوسط بين الإفراط والتفريط^(٦).

والاعتدال والخيرية والوسطية صفة أمة الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾^(٧). قال الطبري رحمه الله تعالى: «(الوسط) في هذا الموضع...الجزء الذي هو بين

(١) ينظر: الصحاح ١٧٦١/٥؛ ولسان العرب ٤٣٣/١١، مادة: (عدل) في الجميع.

(٢) القاموس المحيط، ص ١٣٣٢، مادة: (عدل).

(٣) لسان العرب ٤٣٥/١١، مادة: (عدل).

(٤) "الوسطية والاعتدال في القرآن والسنة: مفهوم الوسطية والاعتدال"، د.ناصر بن عبد الكريم العقل، في: بحوث ندوة أثر القرآن الكريم في تحقيق الوسطية ودفع الغلو ١/١١، ط ٢، (الرياض، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، ١٤٢٥هـ).

(٥) ينظر: موقع معجم (ويبستر): <http://www.merriam-webster.com/dictionary/moderate>

(٦) ينظر: "وسطية أهل السنة والجماعة في باب القدر"، د. عبد الله بن سليمان الغفيلي، مجلة البحوث الإسلامية، الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، الرياض: ٧٦٤،

رجب-شوال/١٤٢٦هـ، ص ١٧٤. وتعريفه كان للوسطية، وهي بمعنى الاعتدال.

(٧) سورة البقرة، من الآية: ١٤٣.

الطرفين... إنما وصفهم بأنهم (وسط)، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلو بالترهب، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه - ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدّلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه. فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحبّ الأمور إلى الله أوسطها^(١).

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «وخير الأمور أوسطها، والأخلاق الفاضلة كلها وسط بين طرفي إفراط وتفریط، وكذلك الدين المستقيم وسط بين انحرافين، وكذلك السنة وسط بين بدعتين، وكذلك الصواب في مسائل النزاع - إذا شئت أن تحظى به - فهو القول الوسط بين الطرفين المتباعدين»^(٢).

وكما أن أهل الإسلام وسط بين طرفين، فإنهم عدول خيار. عدول بدلالة التفسير النبوي الكريم في معنى الوسط في الآية السابقة، بقوله ﷺ: «وَالْوَسْطُ الْعَدْلُ»^(٣)؛ وهم خيار لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾^(٤)، ولدلالة كلام العرب، فإن (الوسط) عندهم (الخيار)^(٥).

وفي هذا دليل على أن التوسط بين أمرين إذا لم يكن صاحبه عدلاً خياراً فإنه لا يُقال عنه: إنه معتدل أو وسطي. فالتوسط كما أنه يدل على البينية فإن من شرطه أن يكون صاحبه عدلاً خياراً. قال ابن عاشور رحمه الله^(٦): «معنى النفاسة والعزة والخيار من لوازم معنى الوسط عرفاً»^(٧).

(١) جامع البيان ١٤٢/٣.

(٢) روضة المحيين ونزهة المشتاقين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد عزيز شمس، مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، ١٤٣١هـ، ص ٣١٩.

(٣) البخاري ١٧٧/٥، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ الآية، ح ٤٤٨٧.

(٤) سورة آل عمران، من الآية: ١١٠.

(٥) جامع البيان ١٤١/٣.

(٦) محمد الطاهر بن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. من مؤلفاته: (مقاصد الشريعة الإسلامية)، و(أصول النظام الاجتماعي في الإسلام)، و(أصول الإنشاء والخطابة). توفي بتونس عام ١٣٩٣هـ. الأعلام ١٧٤/٦-١٧٥.

(٧) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، (تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ)، ١٧/٢.

٣-المعتدل (Moderate) في المفهوم الغربي: ضد المتطرف^(١). والاعتدال "تجنب التطرف في السلوك أو التعبير"^(٢).

مع ما تقرر في تمهيد هذا الفصل من عدم صحة تقسيم الإسلام نفسه بأي اعتبار كان، فإن استخدام خبراء (راند) لمصطلح (الإسلام المعتدل) استخدام غير علمي، بل هو استخدام مضلل، يطلقونه على من ليس من أهله، وينفونه عن أهله الذين هم أحق به. وقد أشار تقرير (بناء شبكات) إلى أن البعض يعترض على استخدام مصطلح (المسلمين المعتدلين)؛ لأن الولايات المتحدة ليس لديها آلية دائمة لتحديد من هم المسلمون الجيدون ومن ليسوا كذلك^(٣)؛ ولأن حكومة الولايات المتحدة والحكومات الغربية الأخرى ليس لديها وجهة نظر متسقة في تحديد (المعتدلين) من غيرهم^(٤).

وأشار التقرير أيضًا إلى صعوبة التمييز بين (المعتدل) وغير (المعتدل)^(٥). فليس لديهم تعريف محدد لـ (الإسلام المعتدل) أو الشخص (المعتدل)؛ ولذا عدل خبراء (راند) عن التعريف إلى التعيين تارة، والاختبار تارة. أمّا التعيين فكان لثلاث فئات عُدَّت (معتدلة)، وهم^(٦):

- ١-العلمانيون.
- ٢-(الليبراليون).
- ٣-(التقليديون المعتدلون)^(٧)، ومنهم الصوفية، والأحباش^(٨).

(١) ينظر: قاموس أكسفورد الإنجليزي العربي: P. 783 The Oxford English-Arabic Dictionary.

(٢) ينظر: موقع معجم (ويستر): <http://www.merriam-webster.com/dictionary/moderate>

(٣) Building Moderate Muslim Networks. P. 3, fn.4

(٤) المرجع السابق: P. 43

(٥) المرجع نفسه: P. 65

(٦) نفسه: P. 70, 102 ؛ P. 23 The Muslim World after 9/11.

(٧) ينظر تعريفهم: ص ١٣٦، ١٣٧.

(٨) الأحباش: "طائفة ضالة تنسب إلى عبد الله الحبشي، ظهرت حديثًا في لبنان، مستغلة ما خلفته الحروب الأهلية اللبنانية من الجهل والفقر؛ للدعوة إلى إحياء مناهج أهل الكلام والصوفية والباطنية؛ بهدف إفساد العقيدة، وتفكيك وحدة المسلمين، وصرفهم عن قضاياهم الأساسية". الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ٤٢٧/١.

وأما الاختبار فالقبول بأربعة أمور^(١):

١-القبول بالديمقراطية.

٢-القبول بمصادر غير مذهبية في تشريع القوانين.

٣-احترام حقوق المرأة، وحقوق الأقليات الدينية.

٤-نبذ الإرهاب والعنف غير المشروع.

ويتبع ذلك لائحة من الأسئلة؛ للتأكد من المصادقية في قبول هذه الأمور^(٢).

وذلك يدل «على الفور أن تعريف الاعتدال بالمفهوم الأمريكي لا يعبر إلا عن المصالح الأمريكية، الهادفة إلى تحويل المسلمين بعيداً عن الإسلام، تحت دعوى الاعتدال العالمي. إننا أمام محاولة لإعادة تعريف مفهوم الاعتدال داخل المجتمع المسلم بحيث لا يستند التعريف من الآن فصاعداً إلى مبادئ الوسطية والتراحم التي حثت عليها الشريعة، وإنما أن يتحول مفهوم الاعتدال إلى مجموعة من المسلّمات الغربية التي تُقدّم للعالم على أنها مبادئ دولية»^(٣).

وقد أشارت (بينارد) في تمهيد تقريرها (إسلام حضاري ديمقراطي) إلى تصنيف العناصر الفاعلة في العالم الإسلامي؛ بحثاً عما يتماشى بشكل عام مع القيم الأمريكية، وما يتناقض في أساسياته معها^(٤).

وبعد استعراض العناصر الفاعلة التي أوردتها في تقريرها، وهم: الأصوليون، والتقليديون، والعلمانيون، والحداثيون أو العصرانيون، يفهم من نصها السابق أن (الإسلام المعتدل): هو ما يتماشى مع القيم الأمريكية. ويصلح -بحسب رأي الباحث- أن يكون هذا تعريفاً لـ(الإسلام المعتدل)، بل يصلح أن يكون أصدق تعريف له.

(١) Building Moderate Muslim Networks. P. 66

(٢) المرجع السابق: P. 69 ؛ وتنظر ترجمة تلك الأسئلة: استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام، ص ٢٨.

(٣) استراتيجيات غربية لاحتواء الإسلام، ص ٢٨-٢٩.

(٤) ص ٤.

وتقول (بينارد) في مقال لها في مجلة (استعراض راند): "يريد الحداثيون أن يصبح العالم الإسلامي جزءًا من الحداثة العالمية. يريدون إصلاح الإسلام لكي يواكب العصر الحديث"^(١). ونصه:

"Modernists want the Islamic world to become part of global modernity. They want to reform Islam to bring it into line with the modern age".

فالحداثيون الذين هم من (المعتدلين) لا تقتصر مهمتهم على (اعتدال) في أنفسهم بالمفهوم الغربي، لكنهم يقودون حركة تدمير للإسلام وشريعة الإسلام، ويشترك معهم في هذا باقي فئات (المعتدلين).

يقول (غراهام فولر، وإيان لِسَر): "قليل من الحركات الإسلامية تبدو في الأفق قادرة على تحديث المبادئ الإسلامية بما فيه الكفاية لجعل الشريعة الإسلامية متوافقة على نطاق أوسع مع المعايير القانونية الدولية، وحقوق الإنسان والأقليات، ومجموعة القوانين العلمانية في المجتمعات المختلفة"^(٢).

وتلك المعايير والقوانين المشار إليها لا تختلف عن القيم الأمريكية، بل كثير منها جرى إعدادها و صياغته في عقر دار الولايات المتحدة الأمريكية.

إن هؤلاء (المعتدلين)، ممن تتوافر فيهم صفات التحرر، والعلمنة، أو ضعف التمسك بأحكام الشريعة الإسلامية، أو الانحراف الفكري في تصورهما والاستدلال عليها، ومنهم الذين صنعهم الغرب -خلال عقود- للقيام بخدمته في بلاد المسلمين، وبعضهم الآن يُصنع، هم في الحقيقة معاول الهدم للإسلام. ويقومون بمهمة مواجهة من سُمُّوا بـ (الأصوليين)، و(المتطرفين)، الذين هم أهل الإسلام الحقيقيين.

وسوف يفعلون ما فعلته الفرق القديمة، يقول أ.د. ناصر العقل: أذكت الفرق الفتنة بين المؤمنين، وفرقت أهل الإسلام من جانبين:

"Five Pillars of Democracy: How the West Can Promote an Islamic Reformation", (١) Cheryl Benard, RAND Review, Vol. 28, No. 1, Spring 2004, P. 11.

A Sense of Siege: The Geopolitics of Islam and the West, Graham E. Fuller and (٢) Ian O. Lesser, (Colorado, Westview Press, Inc., 1995). P. 165.

الأول: الفتنة في الدين، بإثارة الإشكالات والشكوك والبدع الاعتقادية، وما يستتبع ذلك من: المراء، والجدال، والخصومات في الدين، والخوض في أمور الغيب.

الثاني: تحريض الناس على الفتنة والخروج والبغي على المسلمين وأئمتهم^(١).

وينبغي أن نحذر أشد الحذر من التهوين من أمر هؤلاء والتقليل من شأنهم، وتسطيح آثارهم، ولو كانوا أفراداً أو قلائل؛ فإن نزعات الأهواء في الافتراق الأول في الأمة «كانت فردية ساذجة في الغالب، أو من أناس ليسوا من الأمة: كالنصارى واليهود أو المنافقين، وليست جماعية، وليس لها أتباع ورؤوس»^(٢).

يتضح من هذا المطلب أن مفهوم (الإسلام المعتدل) لدى (راند) فيه قلب كامل لحقائق الأشياء، وهذا يتنافى تماماً مع أدنى درجات العلمية والموضوعية التي تدعيها (راند). فمن تنعتهم (راند) بأنهم (معتدلون) هم أبعد ما يكونون -في ميزان الشرع- عن الوسطية والاعتدال، بل إن منهم من قد خرج عن الأطراف التي تبتعد عن الوسط غلوّاً أو جفاءً^(٣)؛ كما أنهم ينتفي عنهم وصف العدالة والخيرية وهما من لوازم الاعتدال.

(١) دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها ١/١٦٤-١٦٥.

(٢) المرجع السابق ١/١٦٦.

(٣) يقول أ.د. ناصر العقل: "وفي العصور المتأخرة ظهرت أهواء حادثة، كأصحاب الاتجاهات الحديثة المنحرفة، كالقومية، والعلمانية، والحداثة، والشيوعية ونحوها، فهم كلهم في سبيل الفرقة، بل غالبهم في سبيل الردة والخروج من الملة". المرجع نفسه ١/٢٣.

المطلب الثاني : مهام (المعتدلين)، ومظاهرهم، وخطرهم:

تحاول (راند) من خلال بعض النعوت والمصطلحات وتوظيف بعض الموصوفين بها في العالم الإسلامي، بحسب استنتاج الباحث، أن تستنسخ التجربة الغربية العلمانية في مواجهة النصرانية، منذ عصر النهضة الأوروبية^(١)، وبخاصة في أواخر القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين الميلادي، الموافق للقرن الرابع عشر الهجري، وما حققته من نجاح في استقطاب أشخاص يتحدثون باسم الدين النصراني ويؤسسون المؤسسات؛ ليحرّفوا معاني النصوص الإنجيلية، ويخضعوها لعلوم العصر والحياة العصرية، وينشروا المعاني الجديدة، ويهدموا النصرانية، ويقوموا بتغيير التعليم الديني، ويغلبوا الأصوليين الإنجيليين الذين تمسكوا بحرفية النص. وما نتج عن ذلك من انتشار الإلحاد بين النصارى، وضياع القيم^(٢).

ف (راند) تحاول أن تفرض على المسلمين اليوم التاريخ النصراني ذاته، في تفاصيل صراعاته التي دارت بين الدين والحداثة، والدين والعصرانية، وتريد أن تكتب مستقبل المسلمين بموجب تاريخ الصراع النصراني. مع وجود الفرق الكبير بين الدين النصراني المحرف، ودين الإسلام السالم من التحريف والتبديل، المصون بحفظ الله تعالى له. والفرق الكبير كذلك بين الدين النصراني الذي وقف أمام العلم والتقدم وحارب العلماء، ودين الإسلام الذي يحث على العلم والتعلم وينشد التقدم والتطور المنضبط، "ومن تدبر آيات القرآن وجد القرآن العظيم يدعو إلى كل تقدم حيوي في جميع ميادين الحياة، إلا أنه يدعو الخلق إلى أن يطيعوا خالقهم، ويسترشدوا بإرشاد خالق السموات والأرض، ليدلهم على ما يصلحهم في دينهم ودنياهم، ومعاشهم ومعادهم"^(٣).

(١) "عصر النهضة: اصطلاح يقصد به الفترة التي اتسمت بنشاط علمي وثقافي ذي سمات عقلانية عرفت بحركة التنوير أو العصرانية. وقد أطلق في البداية على الحركة التي ظهرت بألمانيا في القرن الثامن عشر الميلادي". الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ١٠٩٤/٢.

(٢) لاطلاع موسع حول هذه التجربة، ينظر كتاب: هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة، بأكمله.

(٣) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، تحقيق خالد بن عثمان السبت، ط٢، (مكة المكرمة، دار عالم الفوائد، ١٤٢٦هـ)، ٣/٣٣.

والحادثة والعصرانية متقاربتين.

حيث تعرّف الحادثة بأنها: «اتجاه ظهر في مطلع القرن العشرين عند المثقفين، ومحاولتهم لوضع علم اللاهوت في توافق مع الفلسفة والعلوم الحديثة. وبذلك فهذه الكلمة تتعارض مع عبارة الأصولية»^(١).

وفي تعريف آخر: أن الحادثة «تشير إلى حركة دينية تهدف إلى تفسير جديد للعقائد والمذاهب التراثية لتتماشى مع اكتشافات التفسير الحديث. وقد أدانت الكنيسة الحادثة عام ١٩٠٧»^(٢) ميلادي/١٣٢٥ هجري.

«وتهدف الحادثة إلى إلغاء مصادر الدين، وما صدر عنها من عقيدة وشريعة، وتحطيم كل القيم الدينية والأخلاقية والإنسانية، بحجة أنها قديمة وموروثة؛ لتبني الحياة على الإباحية والفوضى والغموض، وعدم المنطق، والغرائز الحيوانية، وذلك باسم الحرية والنفاذ إلى أعماق الحياة. والحادثة خلاصة مذاهب خطيرة ملحدة، ظهرت في أوروبا»^(٣).

وكلمة العصرانيين «تشير إلى أبناء العصر في مقابل القدامى»^(٤). وكانت (العصرية) تُستخدم في إرهابات الثورة الفرنسية «للتعبير عن أنصار كل ما هو عصري، وخاصة في الإشارة إلى تلك المعركة المعروفة باسم (القدامى والعصريين) التي بدأت في المجال الكنسي بين المطالبين بإخضاع النصوص الإنجيلية للدراسة والتحليل، وأولئك الذين يتمسكون بكل ما بها. وازداد التصاقها بالمفهوم الديني عام ١٩٠٩ م [١٣٢٧ هـ] عند إعادة استخدامها في الخطاب العام في خضم أحداث المعركة الطاحنة بين الحادثة والأصولية»^(٥).

(١) المرجع السابق، ص ٣٥؛ نقلاً عن ملحق (قاموس ليتريه) المنشور عام ١٩٨٠ م، وهو من أعرق قواميس اللغة الفرنسية، بحسب المرجع.

(٢) المرجع نفسه؛ نقلاً عن قاموس (روبير) للغة الفرنسية، (طبعة ١٩٨٥ م).

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ٢/٨٦٧.

(٤) هدم الإسلام بالمصطلحات المستوردة، ص ١٩.

(٥) المرجع السابق، ص ٢٠.

وقد أدت معركة (القدامى والعصريين) إلى المطالبة بضرورة دراسة النصوص الإنجيلية للتأكد من مدى أصالتها بعيداً عن أية أفكار مسبقة دينية كانت أم أخلاقية^(١).

و«العصرية في المجتمعات التي كانت خاضعة للاستعمار، عبارة عن عملية هدم وتغيير متناقض، تواكبه عملية تنازلات وامتصاص للهوية، أي إنها إحدى عمليات التغريب وإحدى الوسائل المؤدية إليه»^(٢).

وإن كان يوجد بين المسلمين منذ عقود من يقوم بمثل ما قامت به الحداثة والعصرانية، فإن الجديد الآن تبني الغرب مشروعات جديدة في دعمهم، وتشجيعهم، وانتشالهم من ضعفهم، وتوسيع دائرتهم، وتكوين المؤسسات لهم، ورسم خطط عملها، وضم أعضاء جدد بينهم، وإضعاف خصومهم، أو الإطاحة بهم.

تريد (راند) من (المعتدلين) أصحاب (الإسلام المعتدل) أن يقوموا بمناوأة الإسلام على غرار ما قام به المناوئون للنصرانية في التاريخ الغربي، من هدم لها، وتحريف لكتابها، وتشويه لمضامينها.

لقد تجاوز (الإسلام المعتدل) كونه مصطلحاً، فتحول إلى برنامج عمل هدمي في العالم الإسلامي، ينفذه من ينتسب إليه في التصنيف الغربي.

وعندما لا يكون الحديث عن العلمانيين و(الليبراليين) وبعض الفرق الضالة، بل يكون الحديث عن (المعتدلين) الذين يحاولون الالتزام بالإسلام، ويدعون إلى تصورهم عنه، فإنهم -في المجتمع المسلم- هم -غالبًا- الذين لا يسيرون في تلقي العلم الشرعي على الأصول المتبعة عند علماء الإسلام، بل يأخذون العلم كيف شاءوا، ومن أي مصدر كان، سواء كان موثقاً أم غير موثق، وسواء كان صواباً أم خطأ، ويتبعون الرخص بانتقاء الفتاوى والاجتهادات التي تناسب أهواءهم، ويحاولون أن يمزجوا بين الثقافة الغربية والموروث الإسلامي، ويتسع سقف الحرية لديهم متجاوزاً حدودها الشرعية، كما يتسع الانفتاح في علاقة الذكر بالأنثى، ويكون اتباع الهوى هو المسيطر على تدينهم، ولا يظهر عليهم سيماء الاستقامة على شرع الله لا في حديثهم ولا في

(١) المرجع نفسه، ص ٢٤.

(٢) نفسه، ص ٣٢.

هيئاتهم ولباسهم. ولذلك كله لا تجد أن لدعاتهم توجهًا واحدًا، أو منهجًا يجمعهم، بل يتنوعون، وتختلف مشاربهم، وأصبح هؤلاء الدعاة - في التجمعات التي يستهدفونها - يراحون علماء الإسلام في الإفتاء والتوجيه وبيان الأحكام^(١).

وقد «انطلقت واشنطن في تمويل برامج إذاعية وتلفزيونية إسلامية، ومناهج دراسة في مدارس إسلامية، ومناشط أخرى مختلفة تستهدف تيارات وقيادات ومؤسسات دينية، وتهدف لتعزيز ما وصف بأنه (الإسلام المعتدل) فيما لا يقل عن عشرين دولة إسلامية»^(٢).

وظهر في العالم الإسلامي جملة من الدعاة، صار لهم شعبية بين الناس، أخذوا يروجون لـ(الإسلام المعتدل)^(٣).

ويجري مؤخرًا الاحتفاء ببعض رموز فكر (الاعتدال)، وتلميعهم إعلاميًا، ووصفهم بالمجدين، وبخاصة ممن يصرحون بنقد القرآن الكريم، ويشككون بصحته، ويدعون إلى وجوب إعادة دراسته بمنهج عقلي، ونقده بمعايير العلوم الإنسانية^(٤).

هذا التوجه لدى هؤلاء الذين يدعون إلى تصوره المبتدع عن الإسلام، طريق إلى تأسيس فرق ضالة جديدة في الأمة الإسلامية، أو إنعاش فرق قديمة وعلى رأسها فرقة المعتزلة^(٥)؛ «ذلك

(١) ينظر: ظاهرة التدين الجديد وأثره في تمرير ثقافة التغريب، أنور قاسم الخضري، (جدة، مركز التأصيل، ١٤٢٩هـ)، ص ١٦-٢٢، ٣٢-٣٥.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٢؛ وينظر: «الإسلام في الرؤية الأمريكية: بين المنطلقات الفكرية والإساءات الفردية»، د. عصام عبد الشافي، موقع المركز العربي للدراسات والأبحاث:

<http://www.arabiccenter.net/ar/news.php?action=view&id=1843>

(٣) لنماذج من هؤلاء الدعاة، ينظر: ظاهرة التدين الجديد، ص ٥٧-٦٠.

(٤) من هؤلاء: الجزائري (محمد أركون)، ومن كتبه التي يشكك فيها بصحة القرآن الكريم، وبوجوب نقده: تاريخية الفكر العربي الإسلامي؛ والفكر الإسلامي قراءة علمية؛ والفكر الأصولي واستحالة التأصيل.

(٥) المعتزلة: فرقة ظهرت في الإسلام أواخر العصر الأموي، وازدهرت في العصر العباسي، اعتمدت على العقل المجرد في فهم العقيدة الإسلامية، متأثرة ببعض الفلسفات المستوردة؛ مما أدى إلى انحرافها عن عقيدة أهل السنة والجماعة. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب ٦٤/١؛ وفرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها، غالب بن علي عواجي، (دمهور، مكتبة لينة، ١٤١٤هـ)، ٨٢١/٢.

أن أصول ضلال الأمم وانحرافها واحدة، وهي: طاعة الشيطان، والإعراض عما جاء به المرسلون، واتباع الهوى، والظن، والشهوات، والشبهات، قلَّ ذلك أو كثر^(١).

وعندما يتكالب الأعداء على بعث الفرق القديمة وتأسيس فرق جديدة، ويبدلون لها كثيرًا من الدعم المتنوع فإنها ستنشأ سريعًا في الأمة، ويكثر دعاؤها، وستقوى شوكتها، وقد يُمكن لها في الأرض إذا غفل العلماء والمصلحون.

وقد نقل تقرير (بناء شبكات) عن موقع (شبكة الإسلام الليبرالي): «أن اسم (الإسلام الليبرالي)... يشير إلى المنهج الإسلامي الذي يؤكد على الحريات الشخصية وفقًا لمذهب المعتزلة بشأن الحريات الإنسانية»^(٢).

وبعض العلماء والباحثين المعاصرين الذين صَنَّفوا في بيان الفرق القديمة، قد استحضروا في كتاباتهم وجود أفكار تلك الفرق في الزمن المعاصر. يقول د. غالب بن علي عواجي - في معرض حديثه عن الفرق القديمة -: «إن هذه الفرق وإن كانت قديمة فليست العبرة بأشخاص مؤسسي تلك الفرق ولا بزمانهم، ولكن العبرة بوجود أفكار تلك الفرق في وقتنا الحاضر. فإننا إذا نظرنا إلى فرقة من تلك الفرق الماضية نجد أن لها امتدادًا يسري في الأمة سريان الوباء.

وأقرب مثال على ذلك فرقة المعتزلة، أليس أفكارهم لا زالت حية قوية يتشدد بها بعض المغرضين من الذين استهوتهم الحضارة الغربية أو الشرقية، فراحوا يمجدون العقل ويحكمونه في كل الأمور، ويصفون من يعتمد على ما وراء ذلك بالتأخر والانزواء»^(٣).

ويقول أ. د. ناصر العقل، في مقدمة دراساته في الأهواء والفرق والبدع: «وبعض الاتجاهات الإسلامية الحديثة يعد امتدادًا للفرق القديمة الهالكة، والبدعية والطرقية الضالة»^(٤). ويقول في موضع آخر: «وأغلب الأسماء التي ظهرت حديثًا إنما هي مجرد شعارات تحمل في طياتها أصول الفرق القديمة وأهدافها، أو ترجع إلى الجاهليات القديمة قبل الإسلام... ومنها ما يجمع بين كل

(١) دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها ١/١٥٧.

(٢) Building Moderate Muslim Networks. P. 72 ؛ نقلاً عن: Liberal Islam Network

(٣) فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام ١/٢٤.

(٤) دراسات في الأهواء والفرق والبدع وموقف السلف منها ١/١١.

الاتجاهات المنحرفة في سبيل الصد عن الإسلام كالحداثة والعلمانية^(١). ويقول: «فقد رأينا - في هذا العصر - الفرق والأهواء تنشط من جديد، بالأسباب والأساليب والوسائل الأولى، وتزيد عليها المستحدثات الحديثة وتكالب الأمم، مما ضاعف المسؤولية في ضرورة النصح والتحذير من الأهواء وأهلها»^(٢).

إن ترك هؤلاء المفرطين - المنعوتين من جملة (المعتدلين) - يتحدثون باسم الإسلام، ويقدمون اجتهاداتهم لمسائل العصر، مؤذنين باختلاط الحق بالباطل، وبمزيد افتراق في الأمة، وازدياد ضعفها ووهنها، والله تعالى يدعو إلى الاعتصام بحبله وينهى عن الافتراق: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٣)، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْنَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٤)، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾^(٥).

إن مصطلح (الإسلام المعتدل) قد يروج - بصورته المقلوبة الباطلة - على كثير من عامة الناس، بل وعلى بعض المثقفين، وقد ينجح الموصوفون به من نشر باطلهم. ويقع على عاتق علماء الإسلام ودعاته من أهل السنة والجماعة واجب عظيم في حماية حمى الإسلام، والذود عنه، ضد من يريد إفساده، وتحريف مدلولاته، ويسعى إلى تقسيم الصف. فهم أهل الخير، وهم العدول أصحاب الوسط والاعتدال الحق، ينفون عن هذا الدين «تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين؛ لتدوم بهم النعمة على الأمة، ويظهر بهم النور من الظلمة، ويحيا بهم دين الله الذي بعث به رسوله»^(٦) ﷺ.

(١) المرجع السابق ١/١٤٠.

(٢) المرجع نفسه ١/٢١٠.

(٣) سورة آل عمران، من الآية: ١٠٣.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

(٥) سورة الأنعام، من الآية: ١٥٩.

(٦) مجموع الفتاوى ٣/١.

يقوم الغالون بتحريف ما جاء به هذا الدين، «المبطلون ينتحلون بباطلهم غير ما كان عليه، والجاهلون يتأولونه على غير تأويله. وفساد الإسلام من هؤلاء الطوائف الثلاثة. فلولا أن الله سبحانه تعالى يقيم لدينه من ينفي عنه ذلك لجرى عليه ما جرى على أديان الأنبياء قبله من هؤلاء»^(١).

ف «الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل، بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى... ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدعة، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله، وفي الله، وفي كتاب الله بغير علم، يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يُشبهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن المضللين»^(٢).

(١) إغاثة اللهفان في مصاديد الشيطان ٢٥٢/١.

(٢) الرد على الجهمية والزنادقة، أحمد بن حنبل، تحقيق د. عبد الرحمن عميرة، (الرياض، دار اللواء،

١٣٩٧هـ)، ص ٨٥.